14

شذراتٌ لغويةٌ من لغة بني كلاب على لسان أبي زياد من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني وصفٌ وتحليلٌ

سعد خطاب عمر
مديرية تربية صلاح الدين/ الشرقاط

ملخص:
يعد هذا البحث جزءًا من دراسة اللغات (اللهجات) العربية القديمة، فهي تمثل لَبِناتٍ من صرح العربية الفصيحة بشكل عام، واللهجات الحديثة بشكل خاص، إذ تعد هذه الثانية امتدادا للأولى، فتتبُّعُ لهجات القبائل وما وُجد فيها من تباينات يكشف لنا الكثير من الأسباب التي أدت إلى مثل هذه الاختلافات في لهجاتنا الحديثة، سواء صوتية كانت أم صرفية أم دلالية ؟
وتسعى هذه الدراسة بتقصي لغة بني كلاب ـــ في معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني ـــ على لسان أحد أعرابها، إذ نراها قد انفردت بالكثير من الألفاظ، والأشعار، والصيغ, والدلالات.

ABSTRAT:

This research is part of the languages (dialects) of ancient Arabic. They represent the building blocks of Dadah, fluent Arabic in general, and modern dialects in particular. The second is an extension of the first. This study traces the language the Bani Kilab – in Abu Amer al – Shaybani's Gem Lexicon- in the words of one of its characters, which you see as being unique with a lot of words, poems, formulas, and semantics.

المقدمة:

كل أعرابي يمثل ثروةً لغويةً لا يمكن تجاهلها، فهو معجم ناطق، يظهر إذا أتيحت له الظروف الملائمة، وهذا مما أشار إليه أبو عمر بن العلاء بقوله:" ما انتهى إليكم ممَّا قالتِ العربُ إلاّ أقلُّه ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ"

تجمع هذه الدراسة بين الوقوف على لهجة بني كلاب ـ وذلك من خلال نصوص أبي زياد الكلابي ـ من جانب، وما ينطوي تحتها من ظواهر لغوية وخصوصيات انفردت بها هذه اللهجة لتتميز بها عن غيرها، والوقوف من جانبٍ آخرَ على دلالات بعض ألفاظها وما طرأ عليها من تغييرات، أو تطور, وذلك من خلال موازنة دلالات تلك الألفاظ مع باقي المعجمات العربية، فالموازنة هنا بين منتج اللغة ومؤسسِها من جهة، واللغوي الجامع الناقد من جهة أخرى، ليبقى الدور الأكبر ـــ من حيث التأثير ـــ للبيئة، التي هي بطبيعة الحال تتأثر بتطور الحياة، فضلا عن ذلك يبقى دور الزمن واضحا، الذي يعد منتجًا للدلالات، فالكثير من الألفاظ تموت لتحيا غيرها فهذه سنة الحياة، أو تتغير معانيها، وهذا ما نلمسه ونراه في عصرنا الحاضر، إذ نجد الكثير من الألفاظ قد ظهر لها دلالات جديدة، قد ترتبط بالدلالة الأم أو لا ترتبط، لتبقى الحاجة التي أنجبتها هي الفيصل في إنتاجها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن بعض خصائص ومفاريد لهجة بني كلاب، وخاصة أنها تعد من القبائل العربية الفصيحة، تلك القبيلة التي تُعَدُّ إحدى أكبر أفخاذ قبيلة قيس، وليل

ذلك أن أبا عمرو الشيباني قد استشهد بكثير من ألفاظها وتراكيبها، فضلا عن ذلك كثرة الاستعمالات الدلالية الغريبة.

تضمن هذا البحث مقدمة، وتمهيدا تناول فقرتين الأولى منهما: نبذة عن بني كلاب، وفي الثانية: تعريفًا عن حياة الأعرابي، ثم تأتي الدراسة الوصفية التحليلية حسبما وردت تلك النصوص في كتاب (الجيم) مرتبة ترتيبا ألفبائيا، يتصدر كلَّ نصٍ منها عنوانٌ مستقى من النص ذاته لأبي زياد الأعرابي، وليس من نصوص المعجمات الأخر، وهذه الدراسة انتقائية؛ بسبب حجم البحث، والتنحي عن التَّكرار، ثم الخاتمة، وفي الأخير ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد:

تضمن التمهيد فقرتين: أولهما: نبذة عن قبيلة بني كلاب، وثانيهما: الأعرابي أبو زياد الكلابي.

أولا: من قبائل قيس بنو كلاب، وصار منهم أصحاب حلب وكان أولهم صالح بن مرداس[1]، وهم بطن من عامر بن صعصعة، منهم العناكب الشاعر المشهور. قال في العبر: وكانت ديارهم حمى ضرية، وهي حمى كلب والربذة في جهات المدينة وفدك والعوالي. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام. فكان لهم في الجزيرة الفراتية هيت. وملكوا حلب ونواحيها. وكثير من مدن الشام، وهم الآن تحت خفاةِ الأُمراءِ من ربيعة من عرب الشام[2].

ثانيا: أبو زياد الكلابي ـــ واسمه يزيد بن عبد الله بن الحرّ[3] ـــ أعرابي، قدم إلى بغداد أيام أمير المؤمنين المهدي حين أصابت الناس المجاعة، فأقام ببغداد أربعين سنة، وتوفي بها، وله شعر كثير، وعلق الناس عنه أشياء كثيرة من اللغة وعلم العربية[4]، وقد صنّف كتبا جليلة، كثيرة الفوائد، مستوفاة في فنها، واسترق العلماء بعده منها، فمن ذلك: كتاب (النّوادر) وهو أتمّ كتاب عمل في هذا النوع، وأكثرها فائدة. كتاب (الفرق). كتاب (خلق الانسان). كتاب (الإبل)[5].

الدراسة:

ارتأينا أن يكون العمل حسبما استشفه أستاذنا الدكتور هادي عطية مطر الهلالي في مَعرِض حديثه عن منهج الخليل وذلك بقوله[6]:" إنه (الخليل) لا يفصل ذكر الدلالة عن الجوانب الأخر، وينبه على ما يتعلق بالبنية، ويذكر ما يطرأ عليها من زيادة، أو حذف، أو تغيير في حركات البناء والإعراب، وإن كان للألفاظ عمل فيذكره، ويبين اختلاف القبائل في نطق بعض الألفاظ، وبهذا تتجلى عبقرية الخليل، فهو إلى جانب ذكره إلى دلالات الألفاظ لا يمكن فصلها عنده عن الجوانب الأخر"

فضلا عن ذلك رتبنا النصوص ترتيبا هجائيًّا، مع وضع عنوانات حسبما ينتجه النص –نص الأعرابي نفسه-:

ـ التقييد في الاستعمال :

(بأبأ) وقال أبو زياد: سَمِعْت بَأْبَأَةَ التيس. 85/1.

اقتصر الأعرابي هذه التسمية على حيوانه الذي ألِفه وعايشه، وكأنه يفهم لغة الحيوان، ولم تكن هذه التسمية وليدة اللحظة، بل هي قائمة على المعاينة والدربة والتأمل.

جاء اللغويون بعده ليوسعوا مجال الاستعمال، فهذا الخليل قائلا[7]:" بابأ: البأبأة: قولُ الإنسانِ لِصاحبه: بأبي أنت، ومعناه: أفديك بأبي، ويشتقّ من ذلك فِعل، فيقال: بَأْبَأَ به. ومن العرب من يقول: وا بأبا أنت، جعلوها كلمة مبنيّة على هذا التَأسيس. والبأبأة: هدير الفحل، في ترجيعه بتكرار" .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس[8]:" قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى العامة إيثارًا للتيسير على أنفسهم، والتماسًا لأيسر السبل في خطابهم".

الملاحظ على اللفظ السابق أن دلالاته انتقلت انتقالة نوعية، إذ لا يوجد وجه شبه بينهما.

ـ المشترك اللفظي:

(ترز) وقال أبو زياد: أترزت حبلَها؛ أي: فتلَتْه فتلاً شديدًا، وفي الجَرَمِ والطَّلْق، وأترزتْ عجينَها.98/1.

ينقل لنا الأعرابي أجزاءً من تفاصيل حياته من خلال تعبيراته اللغوية، إذ نراه وقف على جودة الحبل، وكيف وصفه بالتماسك بوصفه المفعولَ المطلقَ، وكذا الحال مع العجين، أما الجرم فهو الكسب كما وصفه بعض اللغويين بقول أحدهم: سمعت العرب تقول: فلان جريمةُ أهلِه، يريدون كاسبهم[9] .

قال ابن جني: "باب في الشيء يسمع من العربّي الفصيح، لا يسمع من غيره"[10]

تعددت استعمالات هذا اللفظ، إذ نراها تطورت في العصر الرابع، فهذا الجوهري[11] يقول:" تَرِزَ اللحمُ: صلُبَ. وكلُّ قويٍّ صُلبٍ تارِزٌ. وأَتْرَزَتِ المرأةُ عجينَها. وأَتْرَزَ العَدْوُ لحمَ الفرسِ، إذا أيبسه".

فالرابط بيّنٌ بين هذه الدلالات، فكلما تقاربت أجزاء الشيء اشتد واستحكم، فصار من الصعب الولوج بين جزئياته.

_ أصل اللفظ (الترادف)

(جنز) وقال أبو زياد: الجَنَز. الميت؛ قال[12]:

تَهُبُّ الرِّياحُ المُرْسَلاتُ إذا جَرت على جَنَزٍ منه تَقَصّر قابِرُهْ

أي: لم يبلغ به المقبرة القصوى.123/1.

قال الخليل[13]:" الجِنَازةُ، بنصب الجيم وجَرّها،: الإنسان الميّت والشيء الذي ثقل على قومٍ واغتمُّوا به أيضًا جِنَازةٌ، قال[14]:

وما كنت أخشى أن أكون جِنَازةً عليك ومن يغتر بالحدَثانِ

وقوم ينكرون الجنازة للميّت يقولون: الجِنازةُ بكسر الصَّدر، خَشبة الشَّرجَع، وإذا مات فإن العرب تقول: رُمي في جِنازته. وقد جَرى في أفواه العامّة الجِنازة بنصب الجيم، والنَّحارير ينكرونه. وجُنِزَ الشيء إذا جمع".

قيَّد الأعرابي استعمال لفظ (الجنز) على الميت، الذي فارقت روحُه بدنَه، بينما نرى الاستعمال تنحى قليلا ليستعمل هذا اللفظ للميت وما قرُب منه، فقوله:" والشيء الذي ثقل على قومٍ واغتمُّوا به أيضًا جِنَازةٌ" فالمريض الذي ثقُل جسمه ولم يعد يحمله، فهو في عداد الموتى، إذ لا فرق بين مَن في جسده روح ولا يقوى على حملها، ومن فارقت روحُهُ جسدَهُ.

فضلا عن ذلك ما لحظه الخليل من مراتب الاستعمال، إذ نراه فرق في الاستعمال بين لغة العرب (بنصب الجيم) في جنازة، و(فتحها) في لغة العامة، ودليل ذلك قوله:" والنَّحارير ينكرونه".

_ البيان والإخفاء

(حقّ) وقال أبو زياد: حقُّك أن تُضربَ، وحقُّك تُضربُ، وحَقَّ لها أن تُضربَ، وحُقَّ لها أن تُضربَ.147/1.

أراد الأعرابي أن يظهر مدى براعته ومعرفته ببعض الاستعمالات الدلالية المتعلقة بمكامن اللغة وخصوصياتها، وذلك من خلال بيانها وخفائها، فهو تارة يظهر حرف النصب مع معموله، وتارة أخرى يخفيه من حيث الكتابة، ومثل هذا ما نجده جليا في الكتاب العزيز، كما في قوله تعالى:﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ... ﴾(سورة الروم الآيات من 20 إلى 25) نجد في هذه الآيات الكريمات أنها قد استوفت معظم وجوه المصدر المؤول بتقدم (أن) قبل الفعل الماضي، أو قبل الفعل المضارع، أو خفائها.

ومثل ذلك ما نجده في الأمثال العربية، كقول النعمان بن المنذر(تسمعُ بالمُعيدي خيرٌ من أن تراه) على تأويل (أن تسمع) لتكون مبتدءًا.

يقول سيبويه[15]:" وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرًا استخفافًا؛ ولأن المخاطب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، أنه لا بأس عليك، ولا ضرر عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا فى كلامهم.

(المجاز العقلي)

(خدر) وقال أبو زياد: هذا يومُ خَدَرٍ؛ أي: يومُ مَطَرٍ وغيم وريح وبرد؛ قد أخدروا.

وقال: ظلّ فلان مُخْدِرًا، إذا أقام في أهله ولم يبرح.222/1.

صور لنا الأعرابي أيام الإقامة الجبرية في بيته بوجه بلاغي, إذ نراه أضاف الخدر إلى اليوم، واليوم لا يُخدَر؛ بل يَخدر الناس فيه، وهذا ما يمثل إحدى علاقات المجاز العقلي ألا وهي الإسناد إلى الزمان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ بل مكرُ الليلِ والنهارِ﴾(سبأ 33).

أما من الناحية الدلالية، فقد أخذ اللفظ منحًى آخر، فهذا الخليل يقول[16]:" ويوم خَدِرٌ أي: ماطر، ويوم خَدِر: شديد الحر أيضا.... وخَدِرَ النهارُ: إذا لم يتحرك فيه الريح، ولا يوجد فيه روح.

نرى الخليل قد عنى ظهيرة الصيف، فهي التي تنقطع فيها الحركة، إذا خلت من هبوب الهواء.

(الكناية)

(خضم) وقال أبو زياد: أنا ابنُ خَضْمٍ؛ أي: ما اشْتَهِيْتَ من كَرِمٍ وخَيْرٍ.228/1.

بدا الفخر جليًّا على لسان الأعرابي، سواءً قصد نفسه أم قصد غيرها، وذلك من خلال الوجه البلاغي المتمثل بالكناية، فلفظ (خضم) لها دلالات كثيرة بمجملها تدل على الجمع والسعة وكثرة العطاء وغيرها.

بقيت لفظة (خَضْم) محافظة على تلك المعاني، إلا أنها تأثرت قليلا من حيث البِنْيَة، فنراها اصبحت (خِضَم) مكسورة الأول مفتوحة الثاني، قال الخليل[17]:" والخِضَمُّ: نعت للشريف المعطاء، أي: السيد الضَّخْم، وجمعهُ: الخِضَمُّونَ. وهذا الأمر وارد فيما يجري من تغيير على الألفاظ، فهي كالكائن الحي تتأثر بالبيئة التي تُتَداول بها.

تقييد الاستعمال بالمرض:

(رحب) وقال أبو زياد: الرُّحبى: وجع المرفق، قال نصيب[18]:

هواء رِحبٌّ يهلك الرَّبْوُ بيْنه له مرْفقٌ عن رُحْبَيبَيْة مُجنبُ.314/1.

انحسرت دلالة اللفظ على الوجع الذي يصيب مرفق الإنسان(صدره)، ثم انتقلت دلالة ذلك اللفظ لتعني العضو نفسه كما جاء في قول الأزهري[19]:" الرُّحْبَى على بِنَاء فُعْلى أعْرَضُ ضِلَع فِي الصَّدْر، قَالَ: والرُّحْبَى: سِمَةٌ تَسِمُ بهَا العربُ على جَنْب الْبَعِير. وَقَالَ أَبُو عبيد عَن أَصْحَابه: الرُّحْبَيَانِ مَرْجِعَا المِرْفَقَين، قَالَ والنَّاحِزُ إِنَّمَا يكون فِي الرُّحْبَيَيْن. وَقَالَ غَيره: الرُّحْبى: مَنْبِضُ القلبِ من الدوابّ وَالْإِنْسَان.

تقييد الاستعمال بالحيوان:

(رحل) وقال أبو زياد الكلابي: ناقةٌ رَحِيْلةٌ، بَيِّنَةُ الرُّحْلَةِ، وجَمَلٌ رَحِيْلٌ، إذا كانَ نَجِيْبًا فارهًا.298/1.

تبدو الملازمة بين الأعرابي وحيوانه المعطاء، الذي يُعد كل شيء بالنسبة له، فلا تكاد تجد أعرابيًا أوغل في الصحراء إلا والناقة قد أخذت من حديثه نصيبًا وافرًا، وتفكيرا مطولا، ونراه أيضًا قد فرق بين الذكر والأنثى بوصفهما، كل له وصفه الخاص.

أما من الناحية الدلالية، فقد فُكَّ قيدُ استعمالها، فلم تعد تستعمل في الحيوان فحسب؛ بل وُصف بها الإنسان أيضًا، فهذا الأزهري يقول[20]:" وَرجل رَحُولٌ، وَقوم رُحُلٌ: أَي يرتحلون كثيرا، وجمل رَحِيلٌ وناقة رَحيلَةٌ بِمَعْنى النجِيبِ والظهِيرِ. وَقَالَ أَبُو عبيد: الرَّحُول من الإبلِ الَّذِي يصلُح لِأَن يُرْحلَ. وبَعِيرٌ ذُو رُحلَةٍ: إِذا كَانَ قويًّا على أَن يُرْحلَ".

تسمية الشيء بامتزاج ألوانه:

(رمل) وقال أبو زياد: بلادٌ رملاءُ، إذا كان بعضُها فيه عُشْبٌ وبعضُها ليس فيه عُشْبٌ؛ قال[21]:

هل تَعرفُ الدَّارَ بالأُجْدِيِّ فالبُرَقِ فَقْرًا معالمُها كالمُصْحَف الخَلَق

ما صَابَها العُشْبُ إلا ديمةً رَمَلا بعد الجَمِيع وَبعد السَّحَّة الغَرَقِ.299/1ـ300.

طبيعة الحياة الصحراوية الممتزجة في نفسية الأعرابي هي التي تصب على لسانه نوعية الألفاظ وصيغها، فلو جئنا إلى لفظة (أرمل) لوجدناها تحمل الكثير من دلالات البؤس والشقاء، فهذه صورة يرسمها الأعرابي عن حياته التي ينتابها التنغيص.

أما من حيث الدلالة، فقد توسع استعمال اللفظ لينتقل من المرئي إلى غير المرئي، فهذا ابن السكيت يقول[22]:" وعامٌ أرمل: قليل المطر, وسنة رملاء ". ومن ثم انتقلت الدلالة لتدل على اللون، كما في قول الفارابي[23]:" ويُقال للشّاةِ إذا اسْودّت قَوائمُها كُلُّها: رَمْلاءُ.

تبقى اللفظة مرهونة بطبيعة الاستعمال، بحسب حاجة متكلميها، ويبقى وجه الشبه (قربه وبعده) هو الفيصل في ذلك بين الدلالة القديمة والدلالة الحديثة.

مفاريد لغة بني كلاب

(زحف) وقال أبو زياد: أزحفَ في الشهادةِ إذا لم يشهدْ بها حَسَنًا. قال أبو الجِنْبِصِ الكلابي[24]:

هَلْ تَنْفَعَنْ عَمْرَو بنَ ثَوْرٍ شَهادَةٌ سلُولِيَّةٌ رَصْعاءُ ... ظلومها.46/2.

تكمن دلالة اللفظ في أول أمره على الدلالة الكلامية، ثم تطورت فيما بعد لتدل على الدلالة الجسدية من حيث ضعفها وقوتها، وهذا ما وُجد عند ابن قتيبة[25] في قوله: " زَحَفَ " و" أزْحَفَ " إذا أعيا.

ليأتي الأزهري[26] بدلالة جديدة ــ غريبة نوعا ما ــ بقوله:" وأزحَف الرجلُ إزْحَافًا إذا انْتهى إلَى غَايَة مَا طَلَبَ وأَرَادَ".

يقول بيار غيرو:" إن القيمة الدلالية لكلمة ما تكمن في معناها".

لو جئنا إلى أصل اللفظ ودلالته لوجدناه يحمل معنى الوهن والإعياء سواء أمحسوسًا كان أم غير محسوس، أما أن يصل إلى غاية ما يريد، فهذا يدل على ما يحمل هذا الرجل من قوة وإرادة حملتاه من ضعفه ووهنه ليصلَ إلى مبتغاه.

الاتساع في الاستعمال:

(سبع) وقال أبو زياد: قدِ اسْتَبَعَ الشَّيْءَ: إذا سَرَقَهُ، وقد سبعَه سرقَه. وقد سُبِعَ فُلانٌ: إذا عدا عليه السَّبُعُ. وقد أسبعَ فلانٌ غلامَه على النَّاسِ، أي تركَه يصنعُ ما يشاءُ. وقد سبَّعَتْ سُؤْرَها، أي غَسَلَتْهُ سبعَ مراتٍ. 92/2ـ93.

المتفحص مثل هذه النصوص يجد اليَدَ الطّولى، والقِدْحَ المُعَلّى لهؤلاء الأعراب في الوقوف على الظواهر اللغوية دون التصريح بها.

أضاف اللغويون استعمالاتٍ أُخرَ، فهذا الأزهري يقول[27]:" وَيُقَال: سبَع فلَان فلَانا إذا قَصَبه واقترضه أَي عابه واغتابه".

نجد أن الدلالة قدِ انتقلت من الصفة الفعلية إلى الصفة الكلامية، فكلاهما يحمل أذية المخاطب.

الإتباع التكميلي

(سغد) وقال أبو زياد: أعضَّه اللهُ بِسَغَدٍ مَغَدٍ، يعني البظر[28]. والمغد: اللين.99/2.

ارتأينا الاستئناس بهذه التسمية، إذ من المعروف جواز حذف التابع، أما في نصنا هذا فلا يجوز حذفه فهو مكمل للمعنى.

قال الفيروزآباي[29]:" وأغَضَّهُ الله تعالى بِسَغْدٍ مَغْدٍ، أي: بِمَطَرٍ لَيِّنٍ".

اختلف النصـان في صـوتي (العين، والغين)، وهذا الإبدال وارد في كلام العرب، أما دلالة النصـين فقد افترقتا كثيرا.

العدول بين المفرد والجمع:

(سلو، سلي) وقال أبو زياد: قد أسلى: إذا أمنوا السَّبُعَ، وهم مُسْلون. 102/2.

انتقل الأعرابي من الإفراد عند تكلمه مع الغائب إلى الجمع عند توضـيحه للكلام، باسـتعماله الجملتين الفعلية والاسمية.

تبدو هذه من التراكيب التعبيرية التي أنتجها الإبداع العربي على غرار ما جاء في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾(النور 31).

نراه قد عدل بأسلوب العطف بين المفرد والجمع.

ثم ما لبثت أن انتقلت دلالة هذا اللفظ إلى معانٍ جديدة لتتلاءم مع طبيعة البيئة التي انتقلت إليها، فهذا الأزهري يقول[30]:" أَبُو زيد: معنى سـلوت: إِذا نسـي ذكره وَذهب عَنهُ. وَقَالَ ابْن شُـمَيْل: سليت فلَانا، أَي: أبغضته وَتركته".

قيمة اللون:

(شعف) وقال أبو زياد: قد شَعَفَ هذا اليَبِيْسُ، أي نَبَتَ فيه أَخْضَرُ. 138/2.

للون الأخضـر قيمة عظيمة، فهو يجسـد الحياة بأبهى صـورها لِما له من فوائد جمة، فمتى ما رأى الأعرابي دابته شبعى تبرقت أسارير وجهه.

ثم تطورت الدلالة قليلا، كما جاء في قول ابن دريد[31]: " وشَـعَفَة الْجَبَل: أَعْلَاهُ، وَالْجمع شِـعاف. والشّعَفَة أَيْضًا: خُصْلة شعر فِي وسط الرَّأْس.

فالرابط بين النصين هو العلو والارتفاع في الشيء المنظور.

المساواة بين الدلالات:

(طرق) وقال أبو زياد: المَطْرُوْقَةُ من النِّسـاءِ: الناشِـزُ. وأنشـدَ لامرأةٍ [32] من بني عَمْرِو بن كِلاب كان تزوَّجَها رجلٌ من بني نُمير:

لقد تَشرَبُ العَيْفا عَلَى الشِّرْبِ بالقذَى فَلا الماءُ مَتْرُوكٌ ولا الشُرْبُ ناصِحُ

فهلْ فِي ذُرَى دَمْخٍ وثَهْلانَ مَذْهَبٌ لِمَطرُوفَةٍ قَدْ مَسَّها القَيْدُ طامِحُ

إِذا هبَّتِ الريحُ الجَنُوبُ وَجَدْتُها تَهِيجُ جَوًى بَيْنَ الضُلُوع الجوانح.207/2.

جاءت لفظة المطروفة بمعنى الطارفة، وهذا (ما بُني على المفعولية وأريد به الفاعلية).

الاسـتشـهاد ببيت من الشـعر دون التعقيب عليه يدلنا على مسـألة مهمة ألا وهي المسـاواة بين المصـطلحات الثلاثة(الناشـز، والطامح، والطارف) فالأمر يختلف إذا ما عدنا إلى باقي المعجمات، فالناشـز هي التي كرهت زوجها دون النظر إلى غيره[33]، أما (الطامح، والطارف)، فهما متسـاويان

في الدلالة، فكلاهما يدل على أن المرأة كرهت زوجها مع النظر إلى غيره، فضلا عن وجود فارق يسير بين المصطلحين الأخيرين على أن الطارف أكثر حدة في النظر إلى الرجال[34].

نجد أن الأعرابي قد قيَّد الدلالة، مع عدم النظر إلى وجود مثل تلك الفروق بين الدلالات.

(ما سرى مسرى الأمثال):

(عذل) وقال أبو زياد: تزوّجتْ فلانةُ زوجَ العَذِيْلَةِ: إذا لم يُكَنْ فيه خيرٌ. وضافَهُم ضَيْفُ العَذِيْلَةِ، أي لا خَيْرَ فيه. 236/2.

فيما يبدو أن هذين التركيبين، أي ما أضيفت العذيلة إليه، هما من مفاريد لغة بني كلاب، بدليل قول محقق كتاب (الجيم) [35]:" لم أقف عليها في المعجمات، ولعلها من العذل: الملامة، زوجا تُلام على زواجها منه".

ولم نجد هذا (التركيب الإضافي) في كتب الأمثال، ربما هذه التركيبات اللغوية مما يستدرك على كتب الأمثال المشهورة.

المساواة بين صيغتي (اسم المفعول، واسم الفاعل)

(غدّ) وقال أبو زياد: جَملٌ مغْدُودٌ ومُغِدٌّ وهي قَرْحَةٌ تأْخُذُ الإِبِلَ مِثْلَ الطَّاعُونِ.4/3.

استعمل حرف العطف (الواو) بين الصيغتين، وهذا يعني مساواتهما في الوصفية، لكنَّ الأمر بدا مختلفا إذا ما عدنا إلى رأي ابن دريد[36] فنجده يقول:" أغد الْبَعِيرُ يغد إغدادًا فَهُوَ مُغِدٌّ وَلَا يُقَال مغدودٌ إِذا أَصَابَته الغدةُ وَهُوَ دَاءٌ.

اختلف الاستعمال عند ابن دريد، إذ نراه قد أجاز استعمال اسم الفاعل(مُغِدٌّ)، ونهى عن استعمال الصيغة الأخرى بقوله: لا يقال، ربما لأنه وجد الثانية من كلام العوام.

الاستنتاج:

(فرط) وقال أبو زياد: هذه رَكِيَّة (بئر لم تطوَ) مفرطة إذا ملأها الماء فجازها. فذلك الإفراط. 28/3.

نلحظ في هذا النص أنه أعطى تعريفًا موجزًا ليصل إلى المصطلح، وهذه إحدى طرائق التدريس الحديثة، وعلى غرار ما جاء به الحديث النبوي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ قَالَ[37]: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْباغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».

جاء عن الخليل قوله[38]:" والإفراطُ: إعجالُ الشّيء في الأَمْر قبل التَّثبُّت.

بقي الرابط بينهما قويًا، إذ أن البئر التي لم تطوَ بالتجصيص إذا جازها الماء أدى إلى إتلافها، وكذا الحال في التعجل في الأمور إذ يؤدي إلى إفساد العواقب.

العناية باللغات:

(قمل) وقال أَبو زِياد: القُمَّل - بِلُغَةِ أَهل اليمن - البُرْغُوثُ أَو يُشْبِهُه. 74/3.

ارتدى الأعرابي رداء اللغوي، وذلك بإرجاعه إحدى دلالات اللفظ إلى أصل الوضع، وهذا يدلنا على مسألة أخرى ألا وهي أن الأعرابي يعلم أن للفظة القُمَّل دلالاتٍ أخرَ. قال الأزهري[39]:" وَقالَ عِكْرِمَة فِي قَول الله تَعالَى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ}(الاعرَاف: 133) القُمَّلُ: الجنادب، وَهِي الصغارُ من الْجَرَاد، واحدتها: قُمَّلَة. وَقالَ الْفراء: يجوز أَن يكون واحدُ القُمَّلِ قامِلاً، مثل رَاكِع ورُكَّع. تباينت الآراء نحو لفظ القُمَّل، لكن الأكثر قربا هو قول الأعرابي، فهو الأقرب لما هو مشاع ومعروف لدى العلماء.

تكرار الأصوات ونغمها الموسيقي:

(لدّ) قال أَبُو زِياد: المُتَلَدِّدُ: المُتَحَيِّر. وقال[40]:

ولقد سَقَيْتُك شَرْبةً مَبْذُولَةً تَشْفِي الغَلِيلَ وأَنت بالمُتَلَدَّدِ. 3/190ـ191.

يجتمع في اسم الفاعل الاسمية والفعلية، وهذا ما يمده بالقوة والاستمرارية، فضلا عن ذلك فإن تكرار حرف الدال قد أضفى نغما موسيقيا ينسجم مع الدلالة التي وُضع لأجلها.

أضاف صاحب الإبانة[41] تعليلا جميلا على هذا اللفظ، إذ يقول فيه:" المتلدِّد: المتحير ينظر يمينًا وشمالاً، أخذ من اللديدين وهما صفحتا العنق. بقيت متلددًا أي متحيرًا أنظر مرة إلى هذا اللديد ومرة إلى هذا اللديد.

الأصوات المتماثلة في اللفظ الواحد:

(نسّ) وقال أبو زياد: النَّسَّاس من البرد: الذي يَدْخُلُ على الإنسان من تَحْتِ ثِيابِه. 3/263.

قال الأزهري[42]:" وفِي (النَّوَادِر): ريحٌ نَسْناسَة وسَنْسانَة: بارِدَة. وَقد نَسْنَسَتْ وسَنْسَنَتْ: إِذا هبَّتْ هُبُوبًا بَارِدًا".

الفرق بين النصين يدفعنا إلى مسألة مهمة مفادها أن الكلمة التي تحتوي صوتين متماثلين يفصلهما صوت الألف ـ وهو حاجز ضعيف ـ مما يجعلها أكثر عرضة للتغيير، ومثل ذلك ما جرى على كلمة (عشش) نراها تغيرت لتصبح (عشعش)، وهذا على ما يبدو من باب التخلص من الأصوات المتماثلة المتعاقبة.

الخاتمة:

ـ غلب طابع البداوة والعفوية على أسلوبية النصوص لدى الأعرابي .

ـــــــــ انفردت قبيلة بني كلاب بالكثير من الاستعمالات التي طالت جميع المجالات من دلالة, أو تركيب، أو صوت، أو صرف.

ـ كشف لنا البحث عن انتقال دلالة الألفاظ من الدلالات المرئية إلى غير المرئية.

ـ وجود الكثير من الأشعار التي لم نعثر على قائليها، على الأغلب عودتها لشعراء قبيلة بني كلاب.

ـ أبان لنا البحث عن وجود الكثير من الظواهر اللغوية غير المصرح بها.

ـ كان للبلاغة حضور واضح في نصوصنا المجموعة.

ـ أظهر لنا البحث براعة الأعرابي لينسب بعض المفردات إلى قبائلها.

المصادر والمراجع:

ـ الإبانة في اللغة العربية، أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي (المتوفى: 511 هـ)
تحقيق: د. عبد الكريم خليفة، وآخرون، الناشر: وزارة التراث والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى،1420 هـ - 1999 م.
ـ إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب ابن السكيت، (ت: 244هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1423هـ, 2002م.
ـــــ الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (المتوفى: 216هـ), تحقيق: احمد محمد شاكر- عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار المعارف – مصر, الطبعة: السابعة، 1993م.
ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن جمال الدين القفطي (المتوفى: 646هـ)
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م.
ـــــ تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة : الرابعة 1407هـ - 1987م.
ـــــ تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002 م.
ـــــ تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
ـــــ جمهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.
ـــ الجيم، أبو عمرو الشيباني، حققه وقدم له: إبراهيم الإبياري، راجعه: محمد خلف الله أحمد، القاهرة، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1394هـ ـ 1974م.
ـــ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى:392هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
ـ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية،1963.
ـــــ ريادة التصحيح اللغوي وتصويبه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، د. هادي عطية مطر الهلالي، جامعة بغداد، 1411هـ ـ 1991م.
ـــــ علم الدلالة، بيار غيرو، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة: الأولى،1986.
ـــ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

ـــــــ القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م.

ـــــــ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988م.

ـ كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)، أبو يوسف يعقوب ابن السكيت، (ت: 244هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، 1998م.

ـــــــ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى شهاب الدين القرشي العمر، (المتوفى: 749هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى،1423 هـ.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـــــــ معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابي، (ت: 350هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، الطبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة: 1424 هـ - 2003 م.

ـ المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.

---

(1) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:277/4.

(2) المصدر السابق:343/4.

(3) إنباه الرواة على أنباه النحاة:127/4.

(4) تاريخ بغداد:573/16.

(5) إنباه الرواة على أنباه النحاة:127/4.

(6) ريادة التصحيح اللغوي وتصويبه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:12.

(7) العين: 414/8.

(8) دلالة الألفاظ : 155.

(9) تهذيب اللغة: 46/11.

(10) الخصائص: 23/2.

(11) الصحاح: 866/3.

(12) المعجم المفصل في شواهد العربية: 3/ 216، ولم ينسبه لأحد.

(13) العين: 70/6.

(14) البيت لصخر بن عمر بن الشريد، ينظر: الأصمعيات:146.

(15) الكتاب:224/1.

(16) العين:229/4.

(17) العين:179/4.

(18) المعجم المفصل في شواهد العربية:266/1، وليس في ديوانه.

(19) تهذيب اللغة:19/5.

(20) تهذيب اللغة:6/5.

(21) لم اهتدِ إلى قائله فيما وقع تحت يدي من كتب.

(22) إصلاح المنطق:232.

(23) ديوان الأدب:11/2.

(24) المعجم المفصل في شواهد العربية:222/7، لم أعثر عليه في ديوان شعراء بني كلب بن مرة .

(25) أدب الكاتب:436.

(26) تهذيب اللغة:215/4.

(27) تهذيب اللغة:71/2.

(28) في هذه الدلالة أمران: الأول منهما أنها من الممكن أن تكون من مفاريد لغة بني كلاب قياسا على ما جاء في المحيط الأعظم في قوله:" والبَظْرُ بلُغَةِ حِمْيَرَ: مَوْضِعُ الخاتَمِ من الخِنْصِرِ" ينظر:389/2، فهذا تكون لها دلالة غريبة عن أصل الوضع، أما الأمر الثاني فهو على أن تكون هذه اللفظة قد نالها التصحيف، فالكلمة الصحيحة هي (المطر)، وهذا التصحيف مستبعد، إذ من غير الممكن أن يأتي تصحيف في صوتين في كلمة واحدة مكونة من ثلاثة أصوات .

(29) القاموس المحيط:289.

(30) تهذيب اللغة:48/13.

(31) جمهرة اللغة:869/2.

(32) ينظر المعجم المفصل في شواهد العربية:98/2، ولم ينسبه إلى أحد من الشعراء.

(33) ينظر تهذيب اللغة:209/11.

(34) ينظر كتاب الألفاظ :248، وتهذيب اللغة:218/13.

(35) هامش كتاب الجيم: 236/2.

(36) جمهرة اللغة:112/1.

(37) صحيح مسلم:219/1.

(38) العين:418/7ـ419.

(39) تهذيب اللغة:173/11.

(40) المعجم المفصل في شرح شواهد العربية:380/2.

(41) الإبانة في اللغة العربية:309/4.

(42) تهذيب اللغة:217/12.